﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عمران: 200]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبة بين مضامين العقائد والأحكام، ومتطلّبات الثّبات والالتزام

لَمَّا ذكَر اللّهُ تعالى في هذه السُّورة أنواعًا كثيرةً مِنَ العقائد والأحكام العمليَّة، ختَمَها بالأمر بمقتضيات الصّبر والمصابرة، ودواعي الرّباط والتّقوى، في بيان موجز بليغ، يتضمّنه سيّاق هذه الآية، وهي مشتملةٌ على جميع الآداب؛ ووجهُ ذلك: أنَّ أحوالَ الإنسان قسمان: ما يتعلَّق به وحده، وما يكون مُشتركًا بينَه وبينَ غيرِه؛ فالأوَّلُ يحتاج إلى صبرٍ، والثَّاني يفتَقِرُ إلى مصابرةٍ، ثُمَّ إنَّ العبدَ إذا حافظَ على شرائع الدِّين أصولًا وأحكامًا، احتاجَ إلى مدافعةِ ما يُضادُّها، وذلك يكون بجهاد الأعداءِ، والرِّباطِ في الثُّغور، من أجل ردِّ عدوانِ الأعداء، ثمّ أمَرَ اللّه تعالى عبادَهُ، أن يكون الاتّصاف بالتَقوى، داعيًا للصّبرِ، وحافزًا للمصابرَة، وسبيلا للمرابطَة في سبيل اللّه، لنيل الحسنيين، وتحصيل الفلاح في الدّارين[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾: الصّبر: نقيض الجزع، وقد صبر فلان عند المصيبة، يصبر صبرا، وصبرته أنا: حبسته، قال اللّه تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ [الكهف: 28][2]، والصَّاد والباء والرَّاء، تدلُّ اشتقاقاتُها على تَراكُم شيءٍ أَو تكَدُّسِه، مع تزايدِه أو دَوامِه على حاله[3]، ومنه قولُهم: صَبَرتُ نَفسي على

(1) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 9/473 - 474، والبقاعيّ، نظم الدُّرر: 5/167 - 168.
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (صبر).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (صبر).

كذا؛ أَي: حَبَستُها عليه[1]، بأَن دامَت حالُهُ على ملازمته. والصَّبرُ في الشَّرع: حبسُ النَّفس عَنِ الجَزَع، واللِّسان عَنِ التَّشَكّي، والجوارح عَن لَطم الخدود، وشَقِّ الثِّياب ونحوِهما[2]، وهو المأمورُ به بأسلوب النّداء في صدر الآية، وأمَّا المُصابرَةُ فهي مفاعَلَةٌ من الصَّبر، والمُرادُ بها المغالبةُ بالصَّبر، ومعنى ﴿وَصَابِرُواْ﴾: غالِبوهم في الصَّبر على شدائد الحرب، ولا تكونواْ أضعفَ، فيَكونواْ أشَدَّ منكم صَبرًا[3].

2) ﴿وَرَابِطُواْ﴾: من الرّبط، وقد روي عن الأخفش: ربطت الشّيء أربطه، أي شددته، ويقال: فلان رابط الجأش، وربيط الجأش، أي شديد القلب، كأنّه يربط نفسه عن الفرار[4]، والرّاء والباء والطّاء، تدلُّ اشتقاقاتُها على الشَّدِّ والثَّبات، ومنه: الرِّباطُ؛ وهو الّذي يُشَدُّ به[5]. ويُطلَق الرِّباط على المُقام في الثُّغور[6]، وأصلهُ: مِن مُرابطة الخيل؛ أَي: ارتباطها بإزَاء العدوّ في بعض الثّغور[7]، ثُمَّ أُطلِقَ على المُكث في الثُّغور لِلذّبِّ عنِ الدِّين، ولو لم تَكُن خيولٌ[8].

3) ﴿تُفْلِحُونَ﴾: من الفلح، وهو لغة، البقاء في الخير، وفلاح الدّهر: بقاؤه، و(حيّ على الفلاح)، أي: هلمّ على بقاء الخير[9]، والفاء واللّام والحاء، تدور كثيرٌ مِن تصريفاتِها على معنى الفَوز والبقاء[10]، ومنه: الفلاحُ؛ وهو الفَوزُ بما يُغتبَطُ به، وفيه صلاحُ الحالِ[11]، ويُقال: أفلح؛ إذا أدرك مطلوبَهُ[12]. ويأتي الفلاح بمعنى البقاء في الخَير[13]، ومنه سُمِّيَ السَّحورُ فلاحًا؛ لأَنَّ به بقاء البدن والحِفظ مِنَ الضَّعف[14]، وبضمِّ المعنَيَين، وهما الفَوزُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صبر).
(2) ابن القيّم، عِدّة الصَّابرين، ص: 15.
(3) القِنَّوجيُّ، فتح البيان: 3/1561.
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (ربط).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ربط).
(6) ابن دُريد، جمهرة اللُّغة: (ربط).
(7) الأزهري، تهذيب اللغة: (ربط).
(8) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 5/168.
(9) الخليل، العين: 3/233.
(10) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فلح).
(11) الزَّبيديّ، تاج العروس: (فلح).
(12) ابن دُريد، جمهرة اللُّغة: (فلح).
(13) الخليل، العين: (فلح)، وأبو بكر الأنباريّ، الزّاهر في معاني كلمات النّاس: 1/38.
(14) السَّمين، عمدة الحفّاظ: 3/250.

والبقاء، يَتَحَصَّلُ لنا المعنى الكُلِّيُّ للفلاح، وهو الفوزُ وإدراكُ الخير، ثُمَّ البقاءُ فيه، ولذا قيل عَنِ الفلاح: ليس في كلام العرب كلمةٌ أجمَعُ لِخير الدُّنيا والآخرة منها[1]، فالفلاحُ جامعٌ لخَيرَيِ الدُّنيا والآخرة، ولذا جعَلَ الرَّاغبُ الفلاحَ ضربين: دنيويًّا وأُخرَوِيًّا، وذكَرَ حدًّا جامعًا لكلٍّ منهما[2].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

دعـوة المؤمنين للفلاح بالجمع بـين الـصّـبر والمصابرة، وربط التّقوى بالمرابطة

يا أيُّها الّذين صدَّقوا اللّه ورسولَه، وأقرُّوا بهما إقرارًا يستلزمُ القبولَ والإذعان؛ اصبِروا على طاعة ربِّكُم، وعن مَعصِيَتِه، وعلى ما يَنزل بكم مِن مُرِّ القضاء، وما ينزل بكم من ضرّ وبلاء، وصابِرُوا أعداءَكم، بأقصى قوّتكم، ولا تهونوا فيكونوا أشدَّ صبرًا منكم، وأقيموا على جهاد عَدُوِّي وعدُوِّكم، حفاظًا على الدّين، ودفعًا للعدوان، واحذَروا أن تُخالِفوا أمرَه بتركه، ونَهيَه بفعلِه؛ لتنالوا خَيرَ الدُّنيا، وتحوزوا فوز الآخرة[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

نكتة النِّداء في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

عَظَمَةُ الله ﷻ وعَظَمَةُ خِطابِه

جاء التَّعبيرُ في النِّداء بـ (يا) في قول اللّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وهي في الأصل لِنداء البعيد، ونداءُ اللّه سبحانه لعبادِهِ نِدَاءٌ مِنَ الخالِقِ إلى المخلوقين، فَجديرٌ أَن يكونَ بأداة النِّداء للبعيد، وفي التَّعبير به نكاتٌ:

أُولاها: بُعدُ ما بين الخالقِ والمَخلوقِ مِنَ المكانة.

ثانيها: أنَّه نداء مِنَ الخالق، وهو مُقتَضٍ أعلى العلُوِّ وأبعدَه.

(1) الطِّيبيّ، فتوح الغَيب: 6/430.
(2) الرّاغب، المفردات: (فلح).
(3) ابن جرير، جامع البيان: 7/509، والزُّحيلّي، التَّفسير الوسيط: 1/277، ونخبة من العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 76.

ثالثها: عِظَمُ شأن موضوع النِّداء؛ وهو الأمر بجوامع الآداب مِنَ الصَّبر، والمصابرة، والمرابطة، وتقوى الله تعالى؛ فإنَّ هذه المذكوراتِ لها شأنٌ خطيرٌ وجليلٌ.

والنِّداءُ بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾ فيه ضربٌ من تقوية النِّداء، وَوَجهُ ذلك: أنَّ (أَيّ) لا يُفهَمُ المرادُ به إلَّا باسمٍ بعَدَهُ يُزيلُ غُموضَه، وفي هذا انتقالٌ مِنَ الإبهام إلى الإيضاح والبيان، وفي هذا نوعُ توكيد، وفي اقترانه بـ (ها) التَّنبيه زيادةٌ في التَّوكيد؛ إذِ النِّداءُ في الأصل يُرادُ به التَّنبيه.

فائدة حذف مُتعلَّق الإيمان من قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

حُذِفَ مُتعلَّقُ الفعل ﴿ءَامَنُواْ﴾ من قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وهو المُؤمَنُ به، وفي ذلك مَسلكانِ:

حقيقة الإيمان مُستقِرَّةٌ في نفوس المؤمنينَ، وهم مُقِرُّون بجميع ما يجب الإيمانُ به

أحدهما: ظهورُ أفراد المؤمَنِ به؛ وذلك لأنَّ للإيمان حقيقةً شرعيَّةً معروفةً، فإذا أُطلِقَ لفظُهُ انصرَفَ الذِّهنُ إلى تلك الحقيقة، من غير حاجةٍ إلى التَّنصيص على مُتعلَّقِه.

والآخر: إرادةُ العموم؛ وذلك لأنَّ حَذفَ المعمول مُشعِرٌ بالعموم، والمعنى: آمَنوا بجميع ما يجبُ الإيمانُ به شرعًا، أو آمَنوا بكل ما ذُكِرَ في هذه السُّورة[1]، وهما متآيِلَانِ؛ لأنَّ المذكورَ في سورة (آل عمرانَ) أصولُ الإيمانِ الّتي تَرجِعُ إليها جميعُ أفرادِه.

ويصحُّ إرادةُ الوجهين معًا؛ لعدم التَّنافي بينَهُما؛ فمعنى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الّذين جاؤوا بالإيمان المشهورة دلالتُهُ، المعروفة أفرادُهُ؛ وهي كلُّ ما يجب الإيمان به شرعًا، المذكورةُ أصولُهُ في هذه السُّورة.

في العطف ترقٍّ في تَعدادِ الأعمال الصَّالحات

بلاغة عَطفِ الخاصِّ على العامِّ:

في عطف المُصابرة على الصَّبر من قول الله تعالى: ﴿ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ إطنابٌ بعطف الخاصّ على

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 5/168.

العامّ؛ لأنّ المُصابرةَ أشدُّ فتَكون أفضلَ[1]، ومِن شأن عطف الخاصِّ على العامِّ بيانُ الاهتمامِ بشأن الفرد الخاصِّ بذِكرِه مرَّتين؛ أُولاهُمَا بذِكره مندرجًا تحت لفظ العامِّ، والأخرى: بذِكرِه على سبيل الاستقلال والانفراد.

ومثله: عطفُ المُرابطة على المُصابرة؛ إذِ المرابطَةُ ضربٌ من ضروبِ الصَّبر.

وفي هذا العطفِ أيضًا تَرَقٍّ في تَعداد المأموراتِ؛ فإنّ الصَّبرَ دون المُصابرة، والمُصابرةَ دون المُرابطةِ[2].

تشابه مقاطع السُّورة لمطالعها:

سـورُ القـرآن الكـريـم وِحـدَةٌ مُـتـكـامـلـةٌ في تناسُب آياتها

بينَ أواخر السُّورة وأوائلِهَا تناسبٌ - وهو ضربٌ بديعٌ من تشابه الأطراف - من وجوهٍ عديدةٍ، منها[3]:

أوَّلًا: أنَّ اللهَ ﷻ ذَكَرَ في أول السُّورة تنزيلَ الكتاب على النَّبيِّ ﷺ، وإنزالَ التَّوراة والإنجيل مِن قَبلِ ذلك؛ هُدًى للنَّاس، فقال سبحانه: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 2 - 3]، وذكر في أواخر السُّورة أنَّ من أهل الكتاب من يُؤمِنُ بذلك كلِّه، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾.

ثانيًا: أنَّ اللهَ ﷻ ذَكَرَ عاقبةَ الكُفَّار في طالعة السُّورة، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾ [آل عمران: 4]، ثُمَّ أعادَ ذِكرَ عاقبتِهم في آخرها، فقال سبحانه: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١٩٦ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝١٩٧﴾.

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 2/384.
(2) الفيروزآباديّ، بصائر ذوي التَّمييز: 3/379.
(3) فاضل السَّامرَّائّي، التَّناسب بين السُّوَر في المفتتح والخواتيم، ص: 13 - 14.

ثالثا: أنَّ اللّه سبحانه ذَكَرَ أُولي الألباب في أوائل السُّورة وذكر دُعاءَهم، فقال ﷻ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨﴾، ثُمَّ ذكر ذلكَ أيضًا في أواخرها، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ١٩٢ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [آل عمران: 190 - 193].

رابعًا: أنَّ اللّه تعالى ذَكَرَ الآخرة في أوائل السُّورة وفي أواخرها، وأمَّا أوائلُها فقد قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾، وقال في أواخرها: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٩﴾ [آل عمران: 9].

براعة الختام في السورة:

خـواتـمُ سـور القـرآن الكريم واردةٌ علـــى أَحـسـن وجـوه البلاغةِ وأَكملِها

مِن محالِّ التّأنُّقِ في الكلام: خاتمَتُهُ، ويُسمَّى: حُسنَ الانتهاء؛ وحقيقتُه: أَن يَجعَلَ المتكلِّمُ آخرَ كلامه عذبَ اللَّفظِ، حسَنَ السَّبكِ، صحيحَ المعنى، وأخصُّ منه وأجودُ: براعةُ المَقطَع؛ وهو ما آذَنَ بانتهاء الكلام[1]، وقد خُتمت هذه السُّورَةُ الكريمةُ في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ "بوصاية جامعةٍ للمؤمنين؛ تُجدّد عزيمتهم، وتبعث الهمم إلى دوام الاستعداد للعدُوِّ"[2]، وهذا مُؤذِنٌ بالخَتم ومُشعِرٌ به؛ لأنَّ العادةَ جاريةٌ بأنَّ محلَّ الوصيَّة يكون آخرًا، ففيه براعةُ مقطعٍ.

(1) عبد المتعالِ الصَّعيديّ، بغية الإيضاح: 4/714.
(2) ابنُ عاشور، التّحرير والتّنْوير: 4/208.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الفوز والفلاح:

الفَوزُ: ضدُّ الهلاك[1]؛ وهو الظَّفر بدلًا مِنَ الوقوع في الشَّرِّ[2]، ولذا قال تعالى: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ﴾ [آل عمران: 185]، فجُعِلَ فَوزُهم بدلًا مِن دخولِهمُ النَّارَ، ومنه جَعَلَ الحِميريُّ النَّجاةَ مِن معاني الفوز[3]. وقال الخليل: "الفَوزُ: الظَّفَرُ بالخَير، والنَّجاة مِنَ الشَّرِّ"[4]؛ يُقال: فازَ بالخَير، وفاز مِنَ العذاب[5]. ولذا فإنَّ الفوزَ ليس مجرَّدَ الخلاص مِمَّا يُكرَهُ، وإنَّما هو الخلاصُ منه مع الوصول إلى المحبوب؛ "ولهذا سمَّى اللّٰه تعالى المؤمنين فائزين لنجاتهم مِنَ النَّار ونَيلِهمُ الجنَّةَ"[6]، وأَمَّا الفلاحُ فهو إدراكُ الخير والبقاءُ فيه، فهو "يَجمَعُ بين الدُّنيا والآخرة، فهو ثمرةٌ لنجاحات متعدِّدة، وفيه جَنيٌ لثمار النَّجاح، وفيه إدراك كلِّ مأمولٍ، وفيه معنى السَّعَة، ومعنى التَّيسير، ومعنى البقاء والخَيرِ"[7]. والبَقاءُ في الخير يَلزَمُ منه النَّجاةُ مِنَ المكاره؛ فالفلاحُ أَجمعُ وأَوعبُ.

(1) ابن دُريد، جمهرة اللُّغة: (فوز).
(2) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 211.
(3) نشوان الحِميرِيّ، شمس العلوم: (فوز).
(4) الخليل، العين: (فوز).
(5) الأزهري، تهذيب اللغة: (فوز).
(6) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 210.
(7) محمّد داود، معجم الفروق اللغوية والدّلاليّة، ص: 43.

سُورَةُ النِّسَاءِ

سُورَةُ النِّسَاءِ

التعريف العام بالسورة:

سورة النّساء مدنيّة بإجماع المفسّرين، نزلت جميع آياتها بعد الهجرة؛ فقد أخرج البخاري بسنده عن عائشة أمّ المؤمنين ﵂ قولها: «مَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَه»[1] وتقصد بذلك أنّها كانت عند النبيّ ﷺ زوجة له، ومن المعلوم أنّ النبيّ ﷺ إنّما تزوجها بعد الهجرة في المدينة المنورة.

وَهِي مئة وَخمس وسَبْعُونَ آيَة عند الْمَدَنِيين والمكيّين والبصريّين، ومئة وَستّ وسَبْعُونَ آية عند الْكُوفِيّين، ومئة وَسبع وسَبْعُونَ آية عند الشَّاميّين[2]، وذلك بحسب اختلافهم في الوقوف على فواصل آياتها.

وسورة النّساء هي الرابعة في ترتيب المصحف الشريف بعد سور: الفاتحة والبقرة وآل عمران، وأمّا في ترتيبها النّزوليّ فقد قيل إنّها السادسة نزولًا في العهد المدنيّ بعد البقرة والأنفال وآل عمران والأحزاب والممتحنة[3]، والثالثة والتسعون في التّرتيب النزوليّ الكليّ للقرآن الكريم، وسورة النّساء من السبع الطوال تأتي في الطول مباشرة بعد سورة البقرة، حيث تبتدئ من الجزء الرابع وتنتهي في الجزء السادس من أجزاء القرآن الكريم.

أسماء السورة الكريمة:

سورة النّساء توقيفيّة الاسم، ولا يُعرف لها اسم آخر تعرف به، فقد جاء في صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب ﵁ أنّه قال: «مَا رَاجَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي شَيْءٍ مَا رَاجَعْتُهُ فِي الْكَلَالَةِ، وَمَا أَغْلَظَ لِي فِي شَيْءٍ مَا أَغْلَظَ لِي فِيهِ حَتَّى طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِي صَدْرِي فَقَالَ: يَا عُمَرُ، أَلَا تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ؟!، وَإِنِّي إِنْ أَعِشْ أَقْضِ فِيهَا بِقَضِيَّةٍ يَقْضِي بِهَا مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَمَنْ لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ»[4]، ووردت أيضًا في حديث عبد

(1) البخاري، الحديث رقم: (4993).
(2) الداني، البيان، ص: 146.
(3) الزركشي، البرهان: 1/194.
(4) مسلم، الحديث رقم: (567).

اللّه بن مسعود الذي أخرجه البخاريّ بسنده عنه أنّه قال: «قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: (اقرأ عليّ)، قلت: يا رسول اللّه، آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: (نعم)، فقرأت سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: 41]، قال: (حسبك الآن)، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان»[1].

و تُعرف سورة الطلاق بأنّها سورة النّساء الصُغرى أو القُصرى إزاء سورة النّساء الطُّولى وهي البقرة لما أخرجه البخاريّ عن ابن مسعود ﷺ قولَه: " أتجعلون عليها (المرأة الحامل المُتوفّى عنها زوجها) التّغليظ ولا تجعلون لها الرّخصة؟ لنزلت سورة النّساء القصرى بعد الطولى[2]"ويقصد بالطولى سورة البقرة لأنّ الحديث عن عدّة المُتوفّى عنها زوجها إنّما ورد فيها، وقد تفرّد الفيروزأبادي بتسمية سورة النساء بأنّها سورة النساء الكبرى[3]، وينبغي أنّه وهم، حيث قال ابن عاشور عن رأيه هذا: "لم أره لغيره[4]".

وأمّا عن سبب تسميتها بالنّساء فلأنّها تكرّرت فيها لفظة النّساء نحو (11) مرّة، فتكون التّسميّة لها من باب إكرام النّساء والعناية بهنّ، لأنّ ما نزل منها في أحكامهنّ أكثر ممّا نزل في غيرها[5]، ولكنّ اسم السورة قد يرتبط أحيانًا بمحور السورة بشكل مباشر أو غير مباشر، فعند من يرى أنّ محور سورة النّساء يقوم على خطّين متوازيين وهما: الإنصاف والإصلاح[6]؛ فإنّ النّساء هنّ مظنّة الجور وترك الإنصاف عبر العصور، وقد يكون لهنّ دورٌ في كثير من الخصومات التي تستوجب الإصلاح، لذا بيّنت الآية الأولى من السورة بعض الحقائق المتعلّقة بطبيعة المرأة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: 1].

فهي مخلوقة من عين عنصر الرجل، وهي مكمّلة له، وهي أصلٌ في تكوين المجتمع البشريّ، وأنّه لا أفضليّة مطلقة لأحد النوعيْن على الآخر، لذا أنصفتها السورة في

(1) البخاري، الحديث رقم: (4763).
(2) البخاري، الحديث رقم: (5050).
(3) الفيروزأبادي، بصائر ذوي التمييز: 1/169.
(4) ابنُ عاشور، التّحرير والتّنوير: 4/211.
(5) القاسمي، محاسن التأويل: 5/4.
(6) خليفة، التفسير التحليلي لسورة النّساء: 1/22.

قضايا أخرى كثيرة كالحقوق الماليّة، فأعطتها حقّها وحرّمت أكل مالها، وأمرت بعشرتها بالمعروف: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [النساء: 19]

وحرّم على الزوج أن يستولي على شيء من مالها بغير حقّ: ﴿وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٢١﴾ النساء: 21

وأمر بالعدل معها في المعاملة: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩﴾ النساء: 129

وأمّا في محور الإصلاح فتظهر عناية السورة بالنّساء في هذا الجانب بوضوح أيضًا في حالة اقترافهنّ للفاحشة لا سمح الله: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعٗا مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥﴾ [النساء: 15].

وكذلك في حالة نشوز المرأة: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ [النساء: 34].

ويظهر هذا الإصلاح جليًّا في محاولة التوفيق بين الزوجين عند حدوث شقاق: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥﴾ [النساء: 35].

ويظهر هذا الإصلاح أيضًا في ضرورة قناعة كلّ من الزوجين بما قسمه الله له: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٣٢﴾ [النساء: 32].

❁ المناسبات بين سورة النّساء والسور المجاورة والمشابهة لها:

جاءت سورة النساء بعد سورة آل عمران في ترتيب المصحف الشريف وهناك سلسلة من العلاقات الموضوعيّة والأسلوبيّة المشتركة بين السورتيْن، فإذا كانت سورة آل عمران

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس، سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 6 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-58-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 6 : سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-58-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2475776 بتاريخ 2023/03/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»